منذ الصفحة الثانية للرواية (ص ٤٢٢)، نلمس هذا التعدد والتداخل في الأصوات، فمن صوت الراوية (الكاتب) ندخل إلى صوت «الشيخ سلمان» الذي يتسلم عملية القص بضمير الأنا، ومنه ننتقل إلى صوت «قاسم» الذي يحكي بضمير الأنا أيضاً عن ذات اللحظة التي يتحدث عنها «الشيخ سلمان».. ثم نرجع مرة أخرى إلى صوت الأخير ليتابع حكايته..وهكذا. أما الفاصل بين الصوت والآخر فلا يتعدى النقطة أو، في الغالب، الانتقال إلى فقرة جديدة.

ولا تلتقي شخصيات الرواية في زمان ومكان محددين، فمعظمها تطل كشخصية راوية ثم لا تعود لتطل من جديد، ذلك لأن قدر الشخصية المحورية كان الهروب من مكان إلى آخر، فحيث يتنقل «العاشق» في زمانه ومكانه، تبرز شخصيات جديدة لتشكل صوتاً جديداً في الرواية، وكعلاقة مع الشخصية المحورية التي تثير حولها دائماً زوبعة من الدهشة والتساؤل.

وفي القسم السادس من الرواية، تبرز تعددية الأصوات بأكثر ما تكون. حيث تساهم في صياغته مجموعة من الأصوات بعضها نتعرف إليه للمرة الاولى، فهناك صوت «العاشق» الذي أصبح اسمه «حسنين»، وصوت «الحاج عباس»، ثم صوت «الرئيس»، وصوت «زينب». ومجموعة هذه الأصوات المتناوبة والمتداخلة هي التي تفصح عن علاقات الشخصيات الروائية بعضها ببعض، وعلى الأخص عن علاقتها بالعاشق وعلاقته بها. ومن خلالها يتنامى البناء الروائي.

يكاد هذا الشكل يقترب أكثر ما يكون من عملية «المونتاج» السينمائي، ويتجلى في القسم الرابع من الرواية.

تلعب عملية «المونتاج» في هذا القسم دوراً بالغاً لرسم مشهد محاولة القاء القبض على «العاشق». ولا يرتسم المشهد بصورة وصفية خارجية بصوت الكاتب، وانما من خلال التدفق الداخلي للشخصيتين داخل الموقف («العاشق» و«الضابط الانجليزي»). وهنا يلعب التقطيع والوصل المتوتر بين صوت وصوت / لقطة ولقطة الدور البارز في تشكيل المشهد الدرامي في أقصى حالات توتره.

يتم القطع والوصل هنا بين صوتين متوازيين، يتناوبان تقديم لقطات متوازية ومتنامية، حيث تضيف كل لقطة عناصر تفصيلية الى اللقطة السابقة التي صدرت عن الصوت الآخر. وهكذا نشهد تطوراً متوازياً للحدث ينمو من طرفين ويتصاعد. وبهروب «العاشق» نكون قد وصلنا الى تشكيل المشهد الذي قادتنا اليه مجموعة تلك اللقطات المتقاطعة والمتواصلة.

وتشكل «الأعمى والأطرش» محاولة كتابية جديدة لم يطرقها الكاتب من قبل، فهي رواية ذهنية تجهد في شقها الأول لاعطاء معادل ذهني لواقع نعيشه، وفي شقها الثاني تتضح معالم الواقع، لكن ذهنية الكاتب تُسقط عليه.